الأهرام العراق وفلسطين بين أوباما وماكين

د.هشام مراد

يحتل التدخل العسكري الأمريكي في العراق والنزاع الفلسطيني الاسرائيلي مكانا بارزا في خطاب السياسة الخارجية لمرشحي الرئاسة بشأن العالم العربي ويتركز الخلاف الأساسي بين أوباما وماكين في هذا الشأن في نظرة كل منهما للوضع في العراق. فالمرشح الديمقراطي يعتقد أن غزو العراق كان خطأ استراتيجيا لأن هذا البلد لم يكن يوما معقلا للارهاب أو على علاقة به وبالتالي فان التدخل الأمريكي يمثل اهدارا هائلا للموارد المالية والبشرية الأمريكية.

في حين أن الاهتمام الحقيقي كان يجب أن ينصب على أفغانستان والمنطقة القبلية في باكستان المحاذية لها حيث المعقل الحقيقي للارهاب الدولي وحيث يختبيء زعيم منظمة القاعدة وأعوانه وحيث توجد قواعد حركة طالبان وبناء على تلك النظرة، فان أوباما سيسعي في حالة فوزه للاسراع بسحب القوات الأمريكية.. وقد التزم علنا بسحب تلك القوات عام ٢٠١٠ وعدم الابقاء سوى على وحدات صغيرة لتدريب الجيش العراقي وتعقب منظمة القاعدة وحماية السفارات وقد رفض تماما أي قواعد عسكرية أمريكية دائمة في العراق الا أنه استدرك معلنا امكانات ادخال بعض التعديلات التكتيكية على خطته وفقا لتقديرات القادة الميدانيين فأوباما المؤيد للانسحاب من العراق لايمكن فعل ذلك في ظل ظروف قد تظهر الولايات المتحدة في صورة الخاسر أو المهزوم لما لذلك من انعكاسات سلبية على مصالحها وهيبتها في المنطقة.

وخلافا لرؤية أوباما تسيطر فكرة مكافحة الارهاب على عقل ماكين وهو يصر على أن غزو العراق هو احدي حلقات هذه الحرب العالمية. ولذلك أعلن استعداده للابقاء على الجيش الأمريكي في العراقمائة عام اذا كان ذلك ضروريا لاحراز النصر. ثم عاد تحت ضغط الرأي العام الداخلي المعادي للتدخل الأمريكي في العراق .للقول إن هذا النصر يمكن تحقيقه عام٢٠١٣.

وهو يعتقد أن الانسحاب المتسرع سيجعل من العراق معقلا للارهاب في قلب الشرق الأوسط وسيؤدي لاشعال حرب أهلية قد تتحول لحرب اقليمية أو لعمليات ابادة جماعية وان ذلك الانسحاب سيمكن ايران من السيطرة على منطقة الخليج الغنية بالنفط وذات الأهمية الحيوية للمصالح الأمريكية.وتكاد تتطابق نظرتا ومواقف المرشحين الديمقراطي والجمهوري من النزاع الفلسطيني الاسرائيلي فكلاهما يؤيد حق اسرائيل في الوجود والحفاظ على أمنها واستمرار القدس الموحدة عاصمة لها، ويعارضان أن يؤثر أي اتفاق سلام مستقبلي مع الفلسطينيين على الطابع اليهودي للدولة العبرية، أي أنهما يعارضان عودة اللاجئين الفلسطينيين لأراضي١٩٤٨ وفقا للقرار ١٨١ للأمم المتحدة ويرفض أوباما اجراء أي حوار مع حماس أو حزب الله اللبناني طالما لم يعترفا بحق اسرائيل في الوجود. بينما يؤكد ماكين انه ألد اعداء حركة حماس ويدعو الي عزلها إضافة لحزب الله وسوريا.ويتركز الخلاف الأساسي بين أوباما وماكين في هذا الشأن في تقديرهما لمدى أهمية تسوية القضية الفلسطينية وموقعها في سلم أولوياتهما الخارجية وأسلوب التعامل معها، فقد أكد أوباما ان تسوية النزاع الفلسطيني الاسرائيلي سيكون إحد أولويات ادارته كما أعلن تأييده لحق الفلسطينيين في اقامة دولة.

ولذلك فمن المتوقع في حال انتخابه ان تشارك ادارته بصورة مباشرة في مفاوضات السلام بهدف التوصل لاتفاق، بطريقة مشابهة لما قامت به ادارة الرئيس الديمقراطي السابق بيل كلينتون الا أن مواقف أوباما المعلنة حتى الآن بشأن القدس واللاجئين الفلسطينيين تقلل من قدرة ادارته على المناورة وتضعف من فرص التوصل لاتفاق يقبله الفلسطينيون.

وفي المقابل فانه من المتوقع أن تتشابه سياسة المرشح الجمهوري جون ماكين مع سياسة سلفه جورج بوش بشأن القضية الفلسطينية فهو سيستمر في اتباع سياسة التأييد المطلق لاسرائيل مفضلا عدم الانخراط في عملية السلام تاركا ذلك للأطراف أنفسهم. وهو ماسيصب في مصلحة اسرائيل بسبب ميزان القوي غير المتكافيء. ومتجاهلا حقيقة أن أي تقدم في المفاوضات يستلزم نشاطا دبلوماسيا أمريكيا يتمثل في التقدم باقتراحات وممارسة ضغوط والتلويح بمنافع اقتصادية.. الخ.

ومن المرجح أن يستمر ماكين في حالة انتخابه في التركيزعلى قضية مكافحة الارهاب وماتمثله .وفقا من مخاطر بهذا الشأن، مع مايستلزمه ذلك من وجهة نظره من ضرورة دعم اسرائيل عسكريا لمواجهة الخطر الأكبر المتمثل في الارهاب، ولاشك أن اسرائيل يروقها هذا التحليل بينما هي تشعر في الوقت ذاته ببعض القلق من أوباما الذي برغم مواقفه المؤيدة لها سالفة الذكر أبدى استعداده للحوار مع قادة ايران بشأن الملف النووي وليس خافيا ان اسرائيل لديها قناعة ثابتة أن الخطر الأكبر الذي يتهددها هو ايران ومحاولاتها لامتلاك السلاح النووي، ويؤيدها ماكين في هذا الطرح ولذلك هو يرفض تماما أي حوار مع طهران التي يعتبرها الداعم الرئيس للارهاب في العالم، وهكذا يتضح من جديد أن رؤية ماكين للمخاطر التي تحدق بالمصالح الأمريكية في المنطقة تتمحور بشكل كبير بشأن فكرة محاربة الارهاب الاسلامي والقوي التي يعتقد أنها تدعمه فقد أعلن من قبل أن مهمته تتمثل في الدفاع عن الولايات المتحدة ذات الهوية والارث اليهودي المسيحي ضدالفاشية الاسلامية.

ان الاستعراض السابق لفكر ومواقف أوباما وماكين يجب ألا يحجب عنا حقيقة مهمة وهي أن تلك المواقف أعلنت في خضم حملة انتخابات الرئاسة، أي أنها خضعت لاعتبارات انتخابية وبعضها يغلب على ه طابع المزايدة لكسب الأصوات خاصة أصوات الطائفة اليهودية النافذة في الولايات المتحدة وبالتالي فمن المرجح أن تتغير تلك المواقف تدريجيا بعد وصول أي من المرشحين للسلطة وفقا لزيادة خبرتهما بقضايا المنطقة واستجابة للتطورات والضغوط الاقليمية والعالمية والتي ينبغي أن تتعامل معها الادارة الأمريكية القادمة في حينها بما يتلاءم مع ماتفرضه من تبدل في المواقف.

ومن المتوقع أن ينطبق ذلك على سياسة ماكين في الابقاء على القوات الأمريكية في العراق فالمعارضة الداخلية المتصاعدة لوجود القوات الأمريكية في العراق واصرار الحكومة العراقية على تحديد سقف واضح لانسحاب تلك القوات سيجبران المرشح الجمهوري في حال انتخابه على خفض فترة بقاء الجيش الأمريكي في العراق، كما أن الاتفاق المتوقع ابرامه مع العراق قبل نهاية ولاية الرئيس بوش بشأن مستقبل الوجود العسكري الأمريكي في العراق والذي سينص على الأرجح على انسحاب القوات الأمريكية بنهاية٢٠١١ سيفرض على ماكين التزاما قانونيا لايمكنه التنصل منه ومن المتوقع أيضا أن يغير أوباما وماكين .في حال انتخاب اي منهما .من موقفيهما حيال مستقبل مدينة القدس واعتبارها عاصمة موحدة لاسرائيل، والأرجح أن يتركا تحديد مصيرها للمفاوضات الفلسطينية الاسرائيلية وهو مايعد أكثر اتساقا مع مواقف الادارات الأمريكية المتعاقبة.

النهار يحدث فقط في لبنان

شوقي نجم

الصورة التي التقطت لفتاة لبنانية (ربما تكون أجنبية) تدخن النارجيلة عند مسبح «السان جورج»، وهي ترتدي «البكيني» وتضع النظارة الشمسية على عينيها، انتشرت على شبكة الأنترنت وفي وسائل الاعلام المكتوبة كأنها أسطورة أو خرافة أو كائن غريب. لم يكن انتشارها على هذا النحو بسبب جمالية الصورة فحسب بل خصوصاً لأن الفتاة العارية مع النارجيلة تحمل الكثير من المعاني والتأويلات التقليدية، ومَن نشر الصورة اراد ان يقول ان لبنان «جسد امرأة»، أو هذه هي المرأة ايها الرجل، عليك التحدي او الاستسلام لجمالها وهي «تستولي» على عدّة رجولتك المفترضة.

١

تلك الفتاة في الصورة التي لانعرف هويتها، بدت في شكل من الاشكال وجها من وجوه «الثقافة» اللبنانية، وتراودنا فكرة البحث عن صاحبة الصورة لمعرفة رأيها في نفسها، وماذا يعني لها ان تشاهد صورتها في وسائل الاعلام. والحال، انه لم يعد لافتا ان المصور التقط صورة الفتاة وهي ترتدي «البكيني»، بل كانت المفارقة ان الصورة تجمع الانوثة اللبنانية (الجسد) مع الموروث الذكوري التقليدي (النارجيلة) في مشهد عابق بالتأويلات اذ جاز التعبير، ويمكن ان تتحول الصورة الى لوحة من نوع الـ«بوب آرت» إذا أراد احدهم ان يفعل ذلك. الفتاة تلك قد تكون مدخلا الى رواية بصرية، فهي جلست وحيدة، لا نعرف إن كانت برفقة صديقها او زميلتها. اتكأت على البلاط، وحملت النربيش بيدها اليمني، وراحت تنفث دخان «المداعة» كما تسمّى النارجيلة في اليمن، وتنظر الى الافق. لا نعرف، أهو المشهد الذي يلفتها ويثير انتباهها، أم هي ربما تحلم بالسفر الى بلاد بعيدة، أم بشقة تطلّ على البحر، أم تفكر بفارس احلامها، أم... تفكر بالخلاص من رجل في حياتها! ربما تكون تطمح الى الغناء كالكثير من الفتيات اللبنانيات. لا نعرف ايّ نوع من التبغ اختارته الفتاة، أهو العجمي أم المعسل أم التفاحتان أم العنب؟ أياً يكن، فقد باتت موضة النارجيلة رمزا من رموز المقاهي التي يختلط فيها النساء والرجال، وحاضرة بقوة في زمن الميديا ولها ثقافتها وروادها الجدد الذي اعطوها نكهة جديدة في امكنة جديدة.

اعطت الفتاة ظهرها لرواد المسبح الاخرين ولمبنى «السان جورج» الذي اصيب بالخراب والدمار بعد اغتيال الرئيس رفيق الحريري عام ٢٠٠٥، اذ تطايرت شرفاته وبات يحتاج الى ترميم من جديد. هكذا، فإن صورة الفتاة تجمع بين مشهدي الخراب والجمال، خراب الواقع اللبناني وجمال الانثى المجهولة الهوية بالنسبة الينا. أما ما نستشفه نحن من لقطة الكاميرا فهو «روح الصورة» وروح المعنى.

اتكأت الفتاة على بلاط المسبح، جمعت بين لغة الماء ولغة الجسد، شفتاها لهما لغة أخرى، كما «البكيني» الذي ترتديه. انها فتاة صيف وسباحة بجسد راقصة شرقية. فتاة لبنانية بـ«لوك» غربي على أحد شواطئ بيروت المتهالكة. هي الذاهبة للاستجمام على شاطئ البحر، لم يكن في خلدها ان صورتها ستصبح شهيرة الى هذا الحد، وتتصدر واجهات الصحف والمجلات والشبكة العنكبوتية. هي فقط قد تكون ارادت الاسترخاء اكثر وطلبت نارجيلة، بعد لحظات السباحة الحميمية مع الماء.

٢

تأخذنا صورة الفتاة الى مقال كتبته الباحثة اللبنانية حُسن عبود في دورية «باحثات» عنوانه «ذكورة الاركيلة وتمييع الحدود بين الخاص والعام»، تتناول فيه مسألة تعاطي السيدات والشابات النارجيلة في المقاهي كأمر هو في الصميم من المسألة الثقافية. ففي وقت كانت الجدة البيروتية تأخذ نَفَساً مع زوجها في البيت، ها هي اليوم تمسك النربيش في المقهى، تماما مثل الرجل، وكأن الامساك بالنربيش في هذا الحيز العام يشكل خطوة اختراقية لمجال كان حكرا على الرجال في المقاهي التي كانت مقفلة، حيث في هذا المكان، يأنس الرجال بعضهم الى بعض، وكأن الزجاج الذي يفصلهم عن الطريق يجعل لهم خصوصية الناظر والمنظور في آن واحد. السيدات والشابات اليوم يمسكن النربيش، هكذا في الحيز العام، من دون أي خصوصية ومن دون حدود أو سواتر زجاجية. وهذه اشارة الى ثقافة الرجولة التي تشغل الباحثين الاجتماعيين وخصوصا في المدة الاخيرة مع تنامي ثقافة العولمة وتداخل التقاليد. يذكر الباحث شوقي الدويهي في كتابه «مقاهي بيروت الشعبية» ان دخول المرأة الى المقاهي الحديثة، أي تلك التي تتيح الاختلاط بين الجنسين، لم يشكل ظاهرة بكل معنى الكلمة الا ابتداء من الأربعينيات والخمسينيات من القرن المنصرم، هذا اذا استثنينا بعض الأندية الخاصة التي كانت ترتادها علية القوم. وكان غياب المرأة عن تلك الأمكنة له ما يبرره من اعتبارات قائمة على فرز تاريخي بين جنس الرجال وجنس النساء. وعلى هذا يبدو ان المسافة اقتربت كثيرا بين النساء والرجال من خلال ارتياد الأمكنة.

٣

نستخلص من صورة الفتاة مجموعة تأويلات، ففيها شيء من تحدي «الذكورة»، وشيء من الاغراء، ولحظة من لحظات الفردية والحرية التي تعيشها الانثى على شاطئ البحر بعيدا أعين الفضوليين، وشكل من اشكال الاستشراق الفوتوغرافي. فالشبان حين يتبادلون هذه الصورة كأنهم يقولون انها المثال الابرز عن النساء اللبنانيات، او هذه هي المرأة اللبنانية، وهي تذكّرنا ايضا بقصة وردت في كتاب «الاستشراق جنسيا» لمؤلفه ارفن جميل شك (ترجمة دار قدمس)، تقول القصة ان مصورا في تركيا ارسل إلى صحيفة لندنية صورة لبيت تركي بناء على طلب الصحيفة، وكان البيت البورجوازي يبدو في مظهره وأثاثه مثل البيوت الغربية، فأعيدت الصورة إلى صاحبها مع التعليق الآتي: «الجمهور البريطاني لن يقبل هذه الصورة لحريم تركي». فالبيت التركي كما في الرسوم والكتابات الغربية قائم على بركة في داخل البيت مع عدد كبير من النساء العاريات المتكئات على الوسائد وهن يدخنّ النارجيلات، وهذا المشهد هو الذي ينسجم مع آمال الجمهور البريطاني، وليس صور قطع الأثاث الأوروبي الممل.

ان لا تعلم تلك الفتاة بدهاليز «السان جورج» حتى لا يفسدوا عليها صيفها ووقتها على الشاطئ.

٥

صورة الفتاة على شاطئ «السان جورج» تأخذنا أيضا الى «ثقافة الجسد» في لبنان، اذ يمكن وصف المشهد اللبناني بأنه صراع بين اجساد النساء الجميلة (الثروة القومية) وبين اجساد المقاتلين (ابطال الصمود والتصدي) الذين يعيشون في الظل. او لنقل ان في لبنان صراعاً بين مناخ مغنيات الجسد ومناخ اصحاب الخطب والتخوين، وهذا الأمر ليس بجديد، ففي بداية السبعينيات عادت جورجينا رزق الى لبنان حاملة لقب ملكة جمال الكون، منتصرة ومبتسمة، واستقبلها موكب من السيارات الحكومية اللبنانية، وشبّه احد المراقبين فوزها بالنسبة الى العرب كعودتهم الى بوابات فيينا. خصص لها فندق «السان جورج» غرفة بمواصفات خيالية، اذ طليت مقابض ابوابها وحنفياتها بالذهب الخالص كما حمل باب الغرفة الرئيس الحرفين الاولين من اسمها اللذين كتبا ايضا بالذهب. كانت جورجينا رزق علامة على ثقافة مرحلة منفتحة قبل ان تتزوج ابو حسن سلامة، بل قبل ان تذهب في زيارة الى الوزير السوري السابق مصطفى طلاس الذي كتب في مديحها ديوان «تراتيل»، ويوم اصدر الكتاب عام ١٩٨٢ كان لبنان قد دخل في اتون الخراب والدمار، ولم يكن طلاس معنيا على ما يبدو، بل كان مهموما بزيارة «السيدة الكونية» التي اختفت لاحقا في احضان زوجها المطرب. المهم القول ان فوز جورجينا بلقب ملكة جمال الكون وزيارتها «السان جورج» والاحتفاء بها، من علامات ثقافة مرحلة لها معانيها. واليوم، يبدو مشهد «السان جورج» مرآة لخراب لبنان في مختلف الميادين، كأن اللبنانيين لا يتذكرون مرارة الحرب، وكأن الرصاص لم يثقب ارواحهم. بعد الحرب، بدا مناخ بيروت محجباً، او ظهرت المدينة العريقة للمستقبل «مكسورا خاطرها» كما تقول الأغنية. وورزحت الضاحية الجنوبية تحت جناح «أمة حزب الله»، الذي صار علامة من علاماتها البارزة.

وكان «الجسد» اللبناني والسياسي والاجتماعي والثقافي الذي خرج من دائرة الحرب، يحتاج الى الترميم واعادة التأهيل كما فندق «السان جورج» نفسه الذي عاد وتصدع بعد اغتيال الحريري مثلما تصدع لبنان، واصبحت السياسة قائمة على التكاذب والتجميل مثل الاجساد نفسها، واصبحت عمليات تجميل الانوف والشفاه مثل الختان. فالكثير من الفتيات، يقمن بعمليات تجميل من دون سبب، فقط ليدخلن في نسيج الموضة وتداعياتها، ونتج من ذلك أن الوجوه أصبحت متشابهة بين الفتيات اللبنانيات، وذلك كله تحت تأثير الثقافة البصرية. اهل السياسة اللبنانية يحاولون بشكل من الاشكال اجراء عمليات تجميل كل يوم، ويريدون الظهور بمظاهر جملة الساخنة في الإكسبريس صور كابوس الثمانينيات.

كيف وجد التسيس الفرنسي؟ أجاب: شعرت بكارثة. كانت غالبية مجتمعنا، في الخمسينيات والستينيات، مجبولة بالسياسة. كان بوسع أي مناضل اشتراكي أن يدبج تحليلاً سياسياً. أشعر أن الماركسية، وكل النظريات التي كانت تساعدنا على الرؤية، دخلت حيز النسيان.

رويون أعاد تصويب المصطلحات لمن نسوا موضة ماركسية:نحن في مجتمع طبقي، في مجتمع صراع مع الإمبريالية. نجهد في مساعدة الفقراء. لكن المستغلين والمضطهدين هم... البروليتاريا.

ولكي لا يبقي الرفيق رويون على شبهة سوء فهم تساعد محاميه غداً في طلب نقض حبسه مجدداً، لم يتردد في الرد على السؤال الآخر القاتل:هل وضع انضمامك إلى الحزب الجديد نهاية لإيمانك بالكفاح المسلح؟، قال كشيوعي أبقى مقتنعاً أن الكفاح المسلح ضروري في مرحلة ما من العملية الثورية.

الرفيق جان مارك رويون عاد إلى السجن، منذ ليلة الخميس الماضي، انسجاماً مع قناعاته التي لم تتغير، كما لم تتغير قناعات المدعي العام.

٦

لصورة تلك الفتاة حكايتها وللفتاة حكايتها وللنارجيلة حكاياتها وللمكان حكاياته ايضا. وصلت الينا الصورة عبر شبكة الانترنت مع صور اخرى تعبّر عن الواقع اللبناني المرير، صور لدراجات نارية في استعراضات قاتلة، ولبقرة تجتاز الاوتوستراد، ولامرأة حزينة في باب محلها، ولفتاة عارية البطن، ولامرأة خليجية ترتدي التشادور، ولفتاة اخرى ترتدي الثياب الداخلية الملونة وتتمشى فوق ثلج صنين...الخ. تلك هي التناقضات اللبنانية في الصور الانترنتية، التي هي ايضا مرفقة بكلمات غاية في الفظاظة، وخصوصا كالتي تقول «ممنوع الحكي بالسياسة والطائفية والدين وكرة القدم، مسموح الحكي بأمور العمل فحسب»، او بعبارة نقرأها على زجاج احدى السيارات «كلب صديق احسن من صديق كلب»، و«يقبرني الكيلوت» و«ممنوع التبول»، و«يا اولاد الشر... لا ترموا الزبالة هنا» و«مكتب تسليم الخدم». هذه أشكال من اشكال الجسد اللبناني الوطني المهتوك. وربما تنقذ ما تبقّى منه صورة تلك الفتاة على شاطئ «السان جورج»

العلم هل هندامي من شروط نهج السيرة؟

امرأة محجبة

هل نصير في اتجاه غلق أبواب الشغل ومعه باب الرزق في وجه المحجبات..؟ هل هناك اتفاق شبه خفي بين المسؤولين خصوصا في القطاع الخاص، بإبعاد المحجبات من تقلد مناصب توازي كفاءاتهن العلمية والمهنية، ولكنها للاسف ليست وفق الشكل والهندام والمظهر الخارجي للمحجبة...؟

هل لايستجيب مظهر المحجبة وهندامها لشغل وظائف في الدعاية والاعلان والسكرتارية والعلاقات العامة..!!

أخوف ما أخافه أن يطلب المشغلون يوما إرفاق صور كاملة لجسم طالبة الشغل.. صور تظهر كل معالم جسدها وتقاطيعه وتحدد مواصفات الإغراء والاثارة فيه... معلومات طبعا قد تطلب أو ترفق بنهج السيرة الذي لم يعد يتسع فقط للشهادات والديبلومات وبيانات الكفاءة ؟ بعد أن ضمرت قيمة مثل هذه الشهادات لشغل بعض المناصب في عين بعض المشغلين الذين يطلبون قبل اجراء الفحص المهني حسب الشروط المطلوبة.. الشهادة الكفاءة..أن أكون أيضا جميلة الشكل، سافرة، كاسية عارية... لماذا يُطْلَبُ مني بيان بشأن هندامي ومظهري للفوز بالمنصب المتبارى عليه كموظفة أو مستخدمة أوكاتبة؟

لماذا يضع بعض المشغلين هذه العراقيل في حياة الفتاة والمرأة المحجبة.. مع أن القانون وقانون الشغل بالتحديد لايحمل أي بنود تمنع التحاق المحجبات بالوظائف،

هذا كلام أو شكوى لمحجبة اعتبرت أنها لها كل الحق في عرض مشكلتها ولم لا الكلام باسم كل المحجبات اللائي اكتوين بهذا البعد وهذا التصنيف الجائر.

في رد عن هذا الكلام لمشغل: يقول مدير عام لشركة دعاية وإعلان: «كل امرأة حرة في ماترتديه، لكن ظروف العمل ومتطلباته تفرض قواعد معينة، فمثلا قبل أشهر احتجنا الى موظفة في قسم التسويق، ونشرنا إعلانا في الصحف، وفوجئت بأن ٩٠ ٪ ممن تقدمن لشغل الوظيفة محجبات، وكانت بينهن شابة ترتدي النقاب، فاستدعيتها، وسألتها عن سبب تقدمها الى العمل، فقالت إنها درست الدعاية والتسويق في معهد متخصص وإنها تتقن الفرنسية وترى نفسها أهلا للعمل.وحين سألتها عن كيفية تعاملها مع العملاء وزيارتهم في مكاتبهم بينما هي متحجبة والمظهر والهندام هما جزء من العمل؟. ردت قائلة إنه لو كان العملاء أسوياء ويعرفون دينهم فلا يهمهم مظهري الخارجي وفي النهاية اضطر الرجل الى تعيين إحدى المتقدمات على الرغم من أنها أقل خبرة وكفاءة من غيرها، ولكنه اختارها لمجرد أنها (غير محجبة)!

وفي بحث ميداني تم توجيه سؤال الى مجموعة من الجامعيات المحجبات في تخصصات مختلفة عن آمالهن المستقبلية في العمل، وهل يشعرن بوجود نوع من التمييز ضدهن، قالت إحداهن:أرتدي الحجاب لأنه فرض ، لكن عملي ليس فرضا. طبعا أحب أن أعمل في مجال تخصصي وهو السكرتارية والمحاسبة، خصوصا إذا كان في مؤسسة كبرى، ولكني أعلم أن ذلك شبه مستحيل لأنهم لايقبلون عمل المحجبات. أما تلك المحجبة التي تنوي العمل في مجال التدريس فقالت: الحمد لله أن التدريس من المجالات القليلة التي لاتحارب فيها المحجبات وقالت طالبة تدرس المعلوميات بمعهد خاص إنه إذا ظل سوق الشغل يتجاهل تزايد عدد النساء اللاتي يرتدين الحجاب، أو الخمار أو النقاب، فربما يأتي اليوم الذي يقتصر فيه العمل على السافرات، أو الرجال فقط!.

السفير جان مارك رويون: قصة مناضل يساري أبى أن يبدل قناعاته.. فعاد إلى السجن

محمد بلوط

لو أقفل صحافي الأكسبرس آلة التسجيل قبل السؤال الأخير، كان يمكن للقيادي في منظمة العمل المباشر اليسارية، جان مارك رويون أن يكون طليقاً اليوم، وما كان لزنزانة في سجن مارسيليا، أن تبشأن دونه وحريته النهارية، منذ أن أطلق نصف سراحه قبل عام، وأبقي على النصف الآخر الليلي، لينام في عهدة سجن لا بوميت المتوسطي.

ومع ذلك، لن يغير السجن شيئاً كثيراً في حياة الرفيق رويون، المكافح مسلحاً في فرع اليسار الأوروبي في فرنسا، الشبيه بألوية إيطاليا الحمراء وفصائل ألمانيا الثورية المسلحة.

فمن خمسينياته الغاربة، قبض السجن دفعة واحدة على ٢١ عاما من عمره، سفحت على مذبح الدفاع عن البروليتاريا، بعدما قتلت العمل المباشر عشرة من أعدائها في شوارع باريس، من بينهم غبريال شاهين، ثوري لبناني على ضفاف السين، تعاون مع الاستخبارات للإيقاع برويون، في كمين دعوة وهمية للقاء مع كارلوس. وعبرت صورة يتيمة له الثمانينيات شابا ملتحيا، مرسل الشعر، وابتسامة غامضة، في الأماكن العامة معنونة: عدو الدولة رقم واحد.

وبسهولة وجدته المحاكم مذنباً بقتل الجنرال رونيه أودران في العام ١٩٨٥، مسؤول العلاقات الدولية في وكالة التسلح الفرنسية، واغتيال رئيس مجلس إدارة مصانع رينو جورج بيس، في العام ١٩٨٦. وحكمت عليه، وثلاثة من رفاقه، هم العمل المباشر، بالسجن ١٨ عاماً.

رصاصات رويون والعمل المباشر كانت تنوب عن طبقة عاملة غافلة عن أعدائها، وأحزاب نقابات مسالمة منصاعة، فانتقمت من رينو، طاردة العمال بالآلاف من وظائفهم، ومن ربابنة تسليح شعوب العالم الثالث.

وقبل ساعات من نشر المقابلة، كانت النيابة العامة تطلب استعادة نصف حرية رويون، المطلقة السراح إلى الزنزانة. لم يف الرفيق رويون بما تعهد به عند إطلاق سراحه المشروط. ولم يحترم الاتفاق المبرم مع قاضي الحريات بعدم الإتيان على أسباب حبسه، في ما عدا التعبير، لو شاء، عن الندم لما اقترفه باسم الثورة، وإلا اعتُبر ذلك ترويجا للإرهاب وتبشيرا بالعنف وإخلالا بالنظام العام.

السؤال القاتل كان «هل تأسف لما أقدمت عليه منظمة العمل المباشر؟»، والجواب الذي أعاده إلى السجن، رغم جهد ضائع للمداورة: لا يحق لي أن أتحدث عن ذلك.. وإن واقعة ألا أجيب على ذلك، جواب قائم بحد ذاته، ومن البديهي أني لو بصقت على كل الماضي، لحق لي عندئذ، أن أقول ما أشاء»، لا يبصق رويون على الكفاح المسلح.

رويون كان قد استمهل الصحافة عاما قبل التحدث إليها. وصرف الأشهر التي قضاها نصف حر، في العمل لناشر في مرسيليا، أمارة على رغبته بالعودة إلى سوية اجتماعية، بعدما دفع غالياً ثمن الخروج عنها. وانضم إلى حزب معاداة الرأسمالية اليساري الجديد، والخارج من حزب التروتسكية: الرابطة الثورية، مستأنفاً النقاش المنقطع معه منذ لحظة سجنه، وكأن شيئاً لم يتغير، بنقد عزز قناعة المدعي العام أن ديناصور العمل المباشر، يخفي سلاحه مؤقتاً تحت ستار الصدمة التي يشعر بها لإسقاط حزبه كلمة الثورة من لافتته:إن ذلك سيكون استقالة، لأن الثورة تعني مجابهة دائمة مع البورجوازية، والحكومة. إن الحزب بلا ثورة ماكينة انتخابية صغيرة.

وهو رأى أشياء كثيرة تعكس ما دار في نفس جيل كامل من الفرنسيين، بعد انتفاضة أيار الطلابية في العام ١٩٦٨، التي لم تؤت ثمارها في التغيير الاجتماعي، كما كان يأمل مجايلو رويون، تعيد إلى المدعي العام والشرطة والاستخبارات وأرباب العمل في فرنسا، بين